

أضواء البيان

@ 530 { وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ } أي ما نحن بمغلوبين ، والعرب تقول : سبقه على كذا أي غلبه عليه وأعجزه عن إدراكه أي وما نحن بمغلوبين على ما قدرنا من آجالكم وحددناه من أعماركم فلا يقدر أحد أن يقدم أجلاً أخرناه ولا يؤخر أجلاً قدمناه . .
وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِرُونِ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } وقوله تعالى { إِنَّ أَجَلَ اللَّاحِثِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ } ، وقوله تعالى { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ } [كِتَابًا] مَّؤُودٌ جَلَّ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وعلى هذا القول ، فقوله تعالى : { عَلَيَّ أَنْ زُجِّدَ لِيَ أَهْلِي } ليس متعلقاً بمسبوقين بل بقوله تعالى : { نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسَ } والمعنى : نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم ، أي نبدل من الذين ماتوا أمثلاً لهم نوجدتهم . .

وعلى هذا ، فمعنى تبديل أمثالهم إيجاد آخرين من ذرية أولئك الذين ماتوا وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : { إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَنْ يَشَاءُ كَمَا أَتَى أَنْشَاءَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٍ آخَرِينَ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وهذا التفسير هو اختيار ابن جرير ، وقراءة قدرنا بالتشديد مناسبة لهذا الوجه ، وكذلك لفظة بينكم . .

الوجه الثاني : أن قدرنا بمعنى قضينا وكتبنا أي كتبنا الموت وقدرناه على جميع الخلق ، وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } ، وقوله تعالى : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } ، وقوله تعالى : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } ، وعلى هذا القول فقوله : { عَلَيَّ أَنْ زُجِّدَ لِيَ } : متعلق بمسبوقين أي ما نحن مغلوبين والمعنى وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم إن أهلكناكم لو شئنا فنحن قادرون على إهلاككم ، ولا يوجد أحد يغلبنا ويمنعنا من خلق أمثالكم بدلاً منكم . .

وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى : { إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَنْ يَشَاءُ } وقوله تعالى : { إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَنْ يَشَاءُ } ،

وقوله تعالى : { إِنْ يَشَاءْ يُدْخِلْكُمْ } وَيَأْت